ورقة نقاش (2)

إيران في سوريا: الجهات الفاعلة صانعة القرار، والمصالح، والأولويات

حميد رضا عزيزي
معهد الدراسات الإقليمية (IRS)،
جامعة شهيد بهشتي

ورقة مناقشة لورشة عمل عن: "الديناميات الأمنية الناشئة والتسوية السياسية في سوريا"، سيراكيوز في إيطاليا،
18–19 أكتوبر 2018.

مركز جنيف للسياسات الأمنية (GCSP)

مركز جنيف للسياسات الأمنية (GCSP) مؤسسة دولية تأسست عام 1995 بـعضوية ٥١دولة، هدفها الرئيسي هو تعزيز السلام والأمن والتعاون الدولي من خلال برامج تعليم المهارات التنفيذية، والحوار وبحوث السياسات التطبيقية. ويدرّب مركز جنيف للسياسات الأمنية المسئولين الحكوميين، والدبلوماسيين، والضباط العسكريين، وموظفي الخدمة المدنية الدولية، وموظفي المنظمات غير الحكومية والقطاع الخاص في مجالات الأمن والسلام الدوليين ذات الصلة.

مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

مركز عمران للدراسات الاستراتيجية هو مركز بحثي مهتم بالسياسات هدفه هو تقديم فهم موضوعي لسوريا والمنطقة؛ سعيًا لأن يصبح مرجعًا للسياسات العامة التي تؤثر على المنطقة. بدأ المركز في نوفمبر عام 2013 في إسطنبول بتركيا. وأصدر دراسات وموجزات سياسات تتعلق بالشئون السورية والإقليمية من حيث السياسة، والتنمية الاقتصادية، والإدارة المحلية. كما ينظم المركز مناقشات المائدة المستديرة، وحلقات دراسية، وورش عمل من أجل تعزيز ثقافة صنع قرار أكثر انتظامًا ومنهجية بين قادة المستقبل في سوريا. وتدعم أعمال المركز آليات صنع القرار، وتقدم حلولاً عملية وتوصيات سياسة لصنَّاع القرار، وتكشف التحديات في سياق الوضع السوري، وكذلك تحاول توقع سيناريوهات وحلولاً بديلة.

حميد رضا عزيزي

حميد رضا عزيزي أستاذ مساعد في معهد الدراسات الإقليمية (IRS) بجامعة شهيد بهشتي في طهران، ومحاضر مساعد في قسم الدراسات الإقليمية بجامعة طهران، وزميل غير مقيم في مؤسسة مطالعات إيران وأوراسيا (IRAS). حصل على الدكتوراه في دراسات آسيا الوسطى والقوقاز من جامعة طهران، وله عدة إصدارات بالفارسية والإنجليزية ومنها كتابان. وتشمل اهتماماته البحثية القضايا الأمنية والسياسية الجغرافية في الشرق الأوسط ووسط آسيا، وسياسة إيران الخارجية، والعلاقات الإيرانية الروسية، والنزاع السوري. ومنذ عام 2016، يساهم حميد رضا عزيزي في موقع المونيتور التحليلي؛ حيث يغطي بالأخص القضايا المتعلقة بالنهج الذي تتبناه إيران إزاء قضية النزاع السوري وكذلك أنشطتها السياسية والعسكرية في سوريا. كما يتحدث الفارسية والإنجليزية والروسية، وعنده معرفة عملية باللغة العربية.

لقد استفادت ورشة العمل هذه وهذا الإصدار من الدعم السخي المقدم من مؤسستي كارنيغي وروبرت بوش شتيفتونغ. وتعكس الآراء المعروضة في هذا البحث منظور الكاتب فقط.

نُشر في مارس 2019
جميع الحقوق محفوظة لمركز جنيف للسياسات الأمنية (GCSP) ومركز عمران للدراسات الاستراتيجية

مقدمة

لقد قدمت إيران الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري منذ بداية الأزمة السورية عام 2011 لإنقاذ الحكومة الحليفة في دمشق، ومنذ ذلك الحين أصبحت عنصرًا أساسيًّا في المعادلة السورية. تأتى أهمية سوريا في عقيدة الأمن القومي الإيراني من موقعها في بلاد الشام؛ حيث إن سوريا هي مفتاح الحفاظ على إمكانية الوصول لحزب الله في لبنان، ومنع الإرهاب من زعزعة استقرار إيران، وتحدي هيمنة خصوم إيران في سوريا. يشكل تحقيق هذه الأهداف في سوريا بعض الإشكاليات لإيران على المديين القريب والبعيد. فرغم اتفاق الطرفين على الحفاظ على حكومة الأسد، فطهران لا تتفق تمامًا مع موسكو ودمشق على شكل النظام السياسي ما بعد الحرب، وعلي دور القوات الإيرانية، ولا حول العلاقات السورية الإسرائيلية، و كذلك من المتوقع أن يختلفا حول سياسات إعادة البناء مابعد الحرب وعقودها الاقتصادية.

ورغم موقف إيران الحازم ضد الولايات المتحدة والمعارضة السورية، فهي مستعدة لقبول حلول توافقية في سوريا. مع مرور الوقت، أصبحت إيران أكثر تقبلاً لأن يكون للمعارضة السورية دور في الهيكل السياسي في المستقبل، ولكن يتحدد مدى تقبلها لهذا الدور بناء على سيطرة المعارضة الحقيقية على أرض الواقع، وشريطة احترام المعارضة لمصالح إيران في سوريا. وفي هذا السياق، يعتقد أنه بمجرد إبداء الغرب استعداده لتقبل مصالح إيران في سوريا وإشراكها في عملية السلام التي تقودها الأمم المتحدة في جنيف، ستخفف جمهورية إيران الإسلامية من موقفها إزاء تصوراتها للنظام السياسي والعسكري بعد الحرب، والذي قد يسهم إسهامًا كبيرًا في ضمان عملية انتقالية سياسية سلمية في سوريا.

الجهات الإيرانية الفاعلة صانعة القرار في القضية السورية

تنسق عدة مؤسسات إيرانية جهودها لإدارة مشاركة إيران العسكرية والدبلوماسية في سوريا. هذه المؤسسات هي مكتب المرشد الأعلى الإيراني، وقوات الحرس الثوري الإيراني (IRGC)، ووزارة الدفاع، ووزارة الخارجية، والمجلس الأعلى للأمن القومي، ولجنة الأمن القومي والسياسات الخارجية التابعة للبرلمان الإيراني.

ونظرًا لوجود جانب إسلامي في نظام الجمهورية الإسلامية، يلعب المرشد الأعلى الإيراني دورًا محوريًّا كرمز للإسلام في جمهورية إيران الإسلامية من جهة وضع الخطوط العريضة لسياسة إيران في الشرق الأوسط وسوريا. يرى آية الله الخميني الأزمة السورية عامةً كمؤامرة خارجية ضد إيران ودول محور المقاومة من قبل الولايات المتحدة وحلفاؤها الإقليميون. ومن ثَمَّ، فإن في دعم دمشق يعتبر أهمية أساسية لإيران؛ خاصة لأن سقوط حكومة الأسد سيوجه ضربة قوية للجبهة المناهضة لإسرائيل في الشرق الأوسط.

وقد أتي تدخل إيران في سوريا على مراحل. ففي بداية الأزمة لم تنو إيران التدخل المباشر، بل ركزت على دعم الأسد سياسيًّا. غير أن لجوء الأسد للعنف في قمع المعارضة أدَّى إلى العسكرة، التي بدورها دعت قوات الحرس الثوري الإيراني للتقدم بمساعدة الحكومة السورية. وفي مرحلة لاحقة، ألقى نهوض تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة وعلاقاتهما بجماعات العنف الأخرى في العراق الضوء على مخاطر انتشار الأنشطة الإرهابية في الأراضي الإيرانية، الذي أدى بعد ذلك إلى نمو دور قوات فيلق القدس التابعة لقوات الحرس الثوري الإيراني في سوريا.

إن وزارة الدفاع الإيرانية ليست بمنأى عن قوات الحرس الثوري الإيراني، حيث هناك تنسيق مشترك بينهما. في المقابل، أوكلت إلى وزارة الخارجية مهمة ترجمة الإنجازات العسكرية إلى مكاسب سياسية ودبلوماسية في إطار اتفاقيات أستانا. وفي الوقت ذاته، يتولى المجلس الأعلى للأمن القومي مهمة التنسيق بين جوانب سياسة إيران في سوريا في إطار سياسات جمهورية إيران الإسلامية العامة. ويرأس المجلس رئيس الجمهورية الإيراني، ويعيّن أمينه، ويصدّق المرشد الأعلى على قرار تعيينه.

وتُعَد لجنة الأمن القومي والسياسات الخارجية التابعة للبرلمان الإيراني جهة فاعلة أخرى تؤثر على سياسة إيران في سوريا من خلال رصد جوانب القضية العسكرية والسياسية، رغم أن دورها غير ملموس نسبيًّا وأقل أهمية من دور المؤسسات الأخرى.

مصالح إيران وأولوياتها في سوريا

يمكن تحديد مصالح إيران وأولوياتها الرئيسة في الأزمة السورية بالحفاظ على حكومة الأسد، والحفاظ على إمكانية الوصول إلى حزب الله في لبنان من خلال سوريا والعراق، ومحاربة الإرهاب، ووقف هيمنة خصوم إيران في سوريا.

يُعد "التحالف" الذي استمر بين عائلة الأسد وإيران لعقود دافعًا لدعم طهران المُلِّح والشامل لدمشق. وهذا الدعم ليس بالضرورة للأسد بشخصه بقدر ما هو لافتقار البدائل التي قد تضمن المصالح الإيرانية الأساسية في الشام. و لهذا السبب فإن الأسد إلى الآن هو الخيار الوحيد المناسب لتحقيق ذلك.

وترى إيران في إبقاء قوات حزب الله على أهبة الاستعداد على الحدود الإسرائيلية رادعًا لأي عدوان إسرائيلي على الأراضي الإيرانية. حيث تأخذ إيران تهديدات إسرائيل لبرنامجها النووي على مدى عقد من الزمن على محمل الجد؛ وبالتالي فإن حماية حزب الله جزء من استراتيجية إيران الدفاعية. ويمكن فهم قلق إيران من الإرهاب في سوريا من خلال الربط بين الجماعات الإرهابية في العراق وسوريا وأنشطتهم في الدول المجاورة مباشرة لإيران. ولقد تغيرت عقيدة إيران الأمنية منذ نهاية حرب بين إيران والعراق، حيث أصبح تركيزها الآن على القضاء على كل ما يهدد أمنها في مهده بدلاً من محاربته على الحدود الإيرانية. وهذا يفسِّر تأكيد إيران على ضرورة القضاء على كل الجماعات الإرهابية في سوريا.

ومن أهداف إيران الرئيسة الحفاظ على الوضع الراهن للحدود في الشرق الأوسط؛ وذلك بسبب مخاوفها حيال الاتجاهات الانفصالية عند بعض الجماعات الكردية والعربية داخل الدولة. وترى إيران أن انقسام دول الشرق الأوسط ما هو إلا مخطط أمريكي هدفه إضعاف الدول المسلمة من خلال تقسيمها إلى دويلات صغيرة. كما تخشى إيران أن يُضر أي خلل في موازين القوى الإقليمية بالمصالح الإيرانية. وترى أن أي خلل في موازين القوة في المنظومات الفرعية الإقليمية في الشام سينتج عنه لاحقًا تحول في قوى منطقة الشرق الأوسط الأوسع نطاقًا، من جهة تقوية نفوذ السعودية وتركيا وحلفائهما من الدول السنية.

إيران وحلفاؤها: الحكومة السورية وروسيا

لا يعني دعم إيران الحالي لدمشق أن لديهما نفس الرؤية نحو مستقبل علاقاتهما. فالحكومة السورية لا تريد أن تصبح أراضيها ساحة قتال لحرب مباشرة أو حرب بالوكالة بين إيران والولايات المتحدة أو إسرائيل. ففي حال حافظَ الرئيس السوري على سلطته بعد انتهاء الحرب، لا يتوقع المسئولون الإيرانيون أن يطيع إيران بسلاسة. كذلك هناك شكوك إيرانية حول مدى استعداد الحكومة السورية للتعاون مع إيران في إعادة بناء سوريا. حيث أبدت دمشق حتى الآن استعدادًا أكبر للتعاون مع روسيا مقارنة بإيران، خاصة في إعادة بناء البنية التحتية للطاقة، التي لإيران خبرة أكبر فيها مقارنة بالقطاعات الأخرى.

علاوة على ذلك، لا تقتضي العلاقة الوطيدة بين إيران وروسيا ضماناً للتنسيق الكامل بين سياسات البلدين في سوريا. وحاليًّا، تصطف إيران مع روسيا في الحفاظ على حكم الأسد كهدف تكتيكي لكلا البلدين، لكنه ذو أهمية أكبر لإيران على المدى البعيد، وكذلك في مجال محاربة الإرهاب، وتقصير مدة تواجد القوات الأمريكية في سوريا نظرًا لمعارضة إيران لدور واشنطن في الشرق الأوسط وصراع القوى بين روسيا والولايات المتحدة في سياق دولي أوسع.

وتشمل الخلافات بين إيران وروسيا نظام سوريا السياسي المستقبلي، ودور القوات التي تدعمها إيران في سوريا، ودور قوات المعارضة في الجيش، والعلاقات السورية الإسرائيلية، وعقود إعادة البناء بعد الحرب. وفيما يخص النظام السياسي، فتميل روسيا أكثر إلى تقبل نوع من الفيدرالية في سوريا، بينما تعارض إيران هذه الفكرة، وترى أنها قد تهدد وحدة أراضي سوريا، وكذلك سلطة دمشق المركزية. وترى روسيا أن دور القوات التي تدعمها إيران يمثل عائقًا لإنشاء هيكل أمني وعسكري مركزي وعلماني في سوريا معتمداً على موسكو. غير أن إيران تسعى للحفاظ على مستوى أدنى من التوجه الفكري الإيراني داخل الجيش السوري، وكذلك لمواصلة ممارسة نفوذها من خلال الدور الذي تلعبه الجماعات الشيعية المسلحة في هيكل لامركزي للجيش السوري.

وتختلف روسيا مع إيران أيضًا في تعريفهما لقوات المعارضة؛ فترى روسيا أن بعض الجماعات المعارضة معتدلون ومؤهلون لأن يكون لهم دورًا في العملية الانتقالية، بينما تعتبرهم إيران جماعات إرهابية يجب القضاء عليها. كما تختلف إيران مع روسيا في محاولتها للحفاظ على التوجه المناوئ لإسرائيل في الحكومة السورية المستقبلية. وأخيرًا وليس آخرًا، توجد منافسة ضمنية مستمرة بين إيران وروسيا حول عقود إعادة البناء في سوريا؛ مما قد يوتر العلاقات بينهما أكثر في المستقبل.

هل تغيير مواقف إيران ممكن؟

لقد غيَّرت الحقائق على أرض الواقع تصورات إيران حيال المعارضة السورية العسكرية والسياسية. فبعد مرور بعض الوقت على تفجر الأزمة السورية، اعتبرت إيران جميع الجماعات المسلحة المناهضة للأسد إرهابيين، وأنكرت أي دور سياسي للمعارضة خارج سوريا. وقد ساعد عملها مع روسيا وتركيا في إطار اتفاقية أستانا على تغيير موقفها تغييرًا طفيفًا. ولقد تقبلت إيران

الآن دور المعارضة تقبلاً مبدئيًّا، وبدأت تحاول احتواءهم بشكل أو آخر. وتري إيران أنه ينبغي أن تكون أي مشاركة سياسية للمعارضة مبنية على ووزن كل جماعة أو فصيلة على أرض الواقع.

وبناء على النقاط السالف ذكرها، يتضح أن إيران، فيما يتعلق بالنظام السياسي المستقبلي في سوريا، ستوافق على إمكانية تشكيل هيكل مبني على نظام تقاسم السلطة بين المكونات الدينية والعرقية المختلفة كما حدث في لبنان والعراق. وفي مثل هذا السيناريو، ستتمكن إيران من الحفاظ على دورها ونفوذها فيما يتعلق بمستقبل سوريا بالعمل مع الفصائل المؤيدة لإيران في الحكومة السورية.

ولكن، سوف يعتمد مدى استعداد إيران للعمل مع الولايات المتحدة في سوريا بشدة على استعداد الولايات المتحدة لأخذ مصالح إيران الأساسية ومخاوفها في عين الاعتبار. وفي هذا الصدد، إذا كانت إيران مشاركة في الأطر الدبلوماسية والسياسية المختلفة المتعددة الأطراف التي تبحث في الوضع السوري، خاصة عملية السلام في جنيف، سيكون من المتوقع أن تتخذ إيران موقفًا تعاونيًّا حيال مستقبل سوريا. خلافًا لذلك، ستلجأ إيران غالبًا إلى اتخاذ إجراءات انفرادية، مباشرةً ومن خلال الجماعات المرتبطة بها؛ للحفاظ على مصالحها، وهو سيناريو لن يعقِّد الأزمة السورية أكثر فحسب، بل سيحمل مخاطر تفاقم الوضع بين إيران من ناحية والولايات المتحدة وإسرائيل من ناحية أخرى.